مَاقَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ

تأليف

أبُو عِمَادْ الأَثَرِي

(بِسْمِ اللهِ الرَّحمَن الرَّحِيم)

رَبِّ أَعِنْ ويسِّرْ بِفَضلك

* تمهيد *

الحمد لله رب العالمين ومبدع السموات والأرضين موقت الآجال والأعمال، ومحصي الأقوال والأفعال العظيم الكامل امتنانه، الحليم الشامل إحسانه، الذي لا منال للخيرات إلا بمعونته، ولا مدفع للبليات الا بمعونته، مبلغ الكهول والشيوخ، ومسددهم بالعقول الى الوصول والرسوخ، الذي له في كل شيء آية، تدل على أنه واحد فرد صمد .

وصلى الله على سيد المرسلين محمد المبعوث بالبركات والرحمات للعالمين، هادي البشرية الى معرفة عظمة رب البرية أجمعين، وعلى كافة النبيين والصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين

أمابعد:فإن من أعظم الأسباب التي توقع العبد في أن يشرك بربه ويعصيه ويخالف أمره ونهيه عدم تمكن

عظمة الله ووقاره في قلبه، ذلك لأن وجود عظمة الله في قلب عبده تقتضي إجلال حرماته وتعظيمها {ذَلك وَمن يُعَظِّم حُرُماتِ الله فإنّها مِنْ تقْوَى القُلُوبِ} فتعظيم حرمات الله يجعل للعبد وقاية من الذنوب والمعاصي .

أما المتجرؤ على الإشراك بالله ومخالفته وعصيانه، فإنه ما قدر الله حق قدره، وكيف يقدره حق قدره أو يعظمه أو يكبره أو يجله، من يهون عليه أمره ونهيه ويعصيه فهذا من أمحل المحال وأبين الباطل. ويكفي العاصي عقوبة أن يضمحل من قلبه تعظيم الله جلا جلاله وتعظيم حرماته، مما يجعله يهون على الخلق فيستخفون به ويحقرونه، فعلى قدر تعظيم العبد لربه ولحرماته يعظم عند الناس، وعلى قدر خوفه من ربه يخافه الخلق وهكذا فكان الجزاء من جنس العمل.

وقد أشار سبحانه إلى هذا في كتابه عند ذكر عقوبات الذنوب، وأنه نسيهم كما نسوه، وضيعهم كما ضيعوا أمره، وأهانهم كما أهانوا دينه وأوليائه ولما زاغوا أزاغ

قلوبهم. والذنب والاثم سواء كان كبيرا أو صغيرا فهو بالنظر الى من عصيته عظيم كما قال الامام الرباني الواعظ شيخ أهل دمشق بلال بن سعد[1] :

«لا تنظرإلى صغر الخطيئة، ولكن انظر الى عظمت من عصيت»[2].

واليوم نحن نعيش غفلة شديدة عن عظمة الله عز وجل بسبب انهماكنا في تحصيل الدنيا الفانية واللهف عليها ، فكان منا أن تجرأنا على معصيته سبحانه، ولم يعد لخوفنا منه موضعا في قلوبنا فأظلمت القلوب واسودت وطلعها الرَّانُ الذي قال الله فيه : {كلاَّ بَل رَّانَ علَى قُلُوبِهم مَاكَانُوا يَكْسِبُون} وإلى الله المشتكى فأَحْبَبْنا في هذا الكُتيِّب أن نُذَكِّرَ أنفسنا وإخواننا ببعض ما ورد في نصوص الكتاب والسنة وآثار الصحابة رضوان الله عليهم مما فيه ذكر لعظمة الله جل جلاله وقدرته

---

[1] أنظر ترجمته في«تاريخ دمشق» (480/10)و«تاريخ الذهبي» (212/30).

[2] رواه أبو نعيم في «الحلية» (223/5) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (502/10)، والذهبي في«التاريخ الكبير» (213/3-طبع دار الغرب).

الواسعة في خلقه وكونه، لعله يكون فيه تنبيها لنا جميعا من غفلتنا وحتى نعود الى رشدنا وطاعة ربنا استعدادا للقائه والوقوف بين يديه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم فنرجو الله أن نكون غير مقصرين فيما اخترناه من صنعة الكتاب وأردناه من تأليفه فإن وُفِّقْنَا فبِفَضْل الله علَيْنا وحُسن تأييده، وإن قصَّرنا فالله يغفر لنا وهو حسبنا ونعم الوكيل .

عَظَمَةُ اللَّهِ جَلَّ جَلالُهُ

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز : {يَومَ نَطْوِي السَّمَاءِ كطَيِّ السِّجِلِّ للْكِتَاب كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُه} [الانبياء : 103] .

يقول الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية:« يطوي الله السموات السبع بما فيها من الخليقة والأرضين السبع بما فيها من الخليقة ، يطوي ذلك كله بيمينه ، يكون ذلك كله في يده بمنزلة خردلة»،[3]وقوله:(خردلة) أي حبة صغيرة.

ويقول سبحانه وتعالى أيضا واصفا عظمته وقدرته {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حقَّ قَدْرِهِ والأَرْضُ جَمِيعًا قبْضَتُهُ يومَ الْقيَامة

---

[3] أخرجه ابن ابي حاتم في تفسيره وأبو الشيخ الاصبهاني في «العظمة »(135)وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (5/336) لعبد بن حميد أيضا وإسناده جيد، وهو في حكم المرفوع كما لا يخفي وله شواهد في «الصحيح» تأتي.

والسَّمَاوَاتُ مَطْوياتٌ بِيمِينِهِ سُبحَانه وتعَالى عَمَّا يُشْرِكُون} [الزمر : 64].

لقد جاءت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة فيها بيان عظمته جل وعلا وقدرته على خلقه وهو الكبير ذو الملك والملكوت، فروى الامام البخاري في «صحيحه» (4811) (7451) والإمام مسلم أيضا في «صحيحه» (2786)[4]عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :

جاء حَبْرٌ من اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إن الله يمسك وفي رواية : يضع السموات عل إصبع، والأرضين على إصبع والجبال على إصبع والشجر والأنهار على إصبع والثرى على إصبع

[4] ورواه أيضا الامام احمد في " مسنده " (1/378) وابن خزيمة في " التوحيد " (102) والدارقطني في " الصفات " (19 -23) وابن جرير في " تفسيره" (24/18) والبيهقي في " الصفات " (730) وغيرهم وفيه ان هذا الحديث سبب نزول الآية وسنده صحيح على شرط الشيخين .

وسائر الخلق على إصبع ثم يقول : أنا الملك، أنا الله فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجده تعجبا وتصديقا له،ثم قرأ : {ومَا قدَرُوا الله حَق قَدْرِهِ والأرضُ جميعا قبضتُهُ يوم القيامة والسَّماوات مطويات بِيمِينه سبْحانه وتعالى عمَّا يُشْرِكون}.

وروى البخاري أيضا (7382) ومسلم (2787) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله وسلم قال: « يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك، أين ملوك الارض ؟»

وفي رواية لهما ايضا [5]: «ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة، يكفؤها الجبار بيده، كما يكفأ

[5] من حديث ابن عمر وفيه زيادات وهو مخرج في جزء «أبي القاسم الوزير» (32) تخريج أبي إسحاق الحويني .

أحدكم خبزته في السفر». رواه البخاري (6520) ومسلم (2792).

قوله:(يكْفؤُها)، وفي رواية البخاري:« يتكفؤها» بمعنى يُمِيلُهَا، مِن كَفَأْتُ الإناء إذا قلبتُهُ، كما في«فتح الباري» للحافظ.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال :«إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يُرْفَعُ إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

رواه مسلم في «صحيحه» وأحمد (405/4) وابن ماجة (95) وابن خزيمة في «التوحيد» (19) وابن حبان في«صحيحه» (266) وأبويعلى في«مسنده» (7262) والبيهقي في «الصفات» (1/180) والبغوي في «شرح السنة » وغيرهم كثير .

وقوله : «سُبُحات وجهِهِ» أي نورُه وجلالُه وبهاؤُه كما في «شرح مسلم» للإمام النوري .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :«أخذ الله الميثاق من ظهر آدم- عليه الصلاة والسلام، بنعمان (أي بعرفة) فأخرج من صلبه كل ذرية دراها (أي خلقها) فنثرهم بين يده كالذر ، ثم كلَّمهُم قِبَلاً، وقال :{ أَلَسْتُ بِرَبِّكم قالوا بلَى شهِدْنا أن تقُولُوا يومَ القِيَامَة إنا كُنَّا عن هذا غَافِلِين أوتقُولُوا إنما أَشْرَك آباؤُنا من قبلُ وكُنَّا ذُرِّيةً مِن بَعْدِهم أفَتُهْلكُنا بِما فَعل المُبْطِلون} .

رواه الامام النسائي في«السنن الكبرى»(11127) والإمام أحمد (1/272) والحاكم في «المستدرك» (2/544) وابن ابي عاصم في كتاب«السنة» (202) والبيهقي في «الصفات»(714) وقبلهم ابن جرير الطبري في «تفسيره» (10/547) وغيرهم، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وأعلَّه بعضهم بالوقف ولا يضر لان له حكم الرفع

ثم إن له شواهد كثيرة تراها في «الصحيحة» (4/159) و«تخريج السنة» لابن ابي عاصم (204/206) .

ومن شواهده حديث أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسَمَةٍ (أي روح) هو خالقها من ذريته (وفي رواية (لما خلق الله أدم ونفخ فيه الروح عطس فقال : الحمد لله...) فحمد الله بإذن الله ، فقال له ربه : يرحمك ربك يا آدم، إذهب الى أولئك الملائكة –الى ملأ منهم جلوس– فسلم عليهم، فقال : السلام عليكم فقالوا : وعليكم السلام ورحمة الله ، ثم رجع إلى ربه فقال : هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم .

وقال الله جل وعلا –ويداه مقبوضتان-: اختر أيهما شئت فقال : اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة ثم بسطها ، فإذا فيهما آدم وذريته، فقال : أي رب ما هؤلاء فقال :هؤلاء ذريتك،[6] فاذا كل انسان منهم مكتوب عمره

---

[6] أي ممن سيخلقون في هذه الدنيا إلى يوم القيامة .

بين عينيه فإذا فيهم رجل من أضوئهم، لم يكتب له إلا أربعين سنة، قال آدم : يا رب ما هذا قال : هذا ابنك داود، وقد كتب الله عمره أربعين سنة. قال آدم : رب زد في عمره، قال الله ذاك الذي كتبت له، قال آدم : فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة، قال الله : أنت وذلك أُسْكُن الجنة فسكن الجنة ما شاء الله، ثم أهبط منها، وكان آدم يَعُدُّ لنفسه – أي سنوات عمره – فأتاه ملك الموت لما انقضى عمره، فقال له آدم: قد عجلت قد كتب لي ألف سنة، قال: بلى، ولكنك جعلت لابنك داود منها ستين سنة، فجحد آدم فجحدت ذريته[7]،ونسي فنسِيَتْ ذرِّيته، وخطئ آدم فخطئت ذريته، فيومئذ أمر بالكتاب والشهود [8]».

رواه الترمذي (3368)[9] والنسائي في «الكبرى» (9975)

---

[7] الجحود هنا بمعنى إنكار الحق مع العلم به.

[8] أي في العقود والمعاملات والبيوع .

[9] وقال : هذا حديث حسن وحسنه العلامة الالباني في «تخريج السنة» (206) لابن ابي عاصم .

وصححه ابن حبان (6167) والحاكم (1 /64 و141) وأقره الذهبي وله طرق وشواهد أخرى تراها مخرجة في «صحيح أحاديث الانبياء» (137-133/1) لسليم بن محمد بن عيد آل هلال.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان[10] فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ووصف سفيان بكفهه فحرفها وفرق وفرج بين أصابعه، فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها فيحرقه، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة، فيقال أليس قد قال لنا

---

[10] وفي رواية احمد : «كجر السلسلة على الصفاء »والصفوان هو الحجر الاملس كما ياتي تفصيل معناه .

يوم كذا :كذا وكذا ؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء».

رواه الامام البخاري في «صحيحة» (4800) وله شاهد من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعا وموقوفا بلفظ :

«إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون وفي رواية: (فيخِرُّون سجدا) فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فإذا جاءهم جبريل فزِع عن قلوبهم قال : فيقولون : يا جبريل ماذا قال ربك، فيقول : الحق ، فيقولون [11]: الحق الحق».

رواه أبو داود (4738) والامام ابن خزيمة في «التوحيد» (207) وابن أبي حاتم في «الرد على الجهمية» كما في « فتح الباري » (13/559) والبيهقي في «الصفات» ص: 283 وصححه الإمام أبو حاتم ابن حبان (37-التعليقات

[11] في رواية : فينادون

الحسان) وهو مخرج في «الصحيحة» (1293)، وقال : «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

وله شاهد من حديث عبد الله بن عباس:ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه، إذا قضى أمرا سبحه حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح اهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيُخبِرُونَهم ماذا قال قال : فيستخبِرُ بعض أهل السموات بعضا، حتى يبلُغ الخبر هذه السماء الدنيا.

فتخطف الجن السمع فيقدفونه إلى أوليائهم فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يحرفون فيه ويزيدون [12] وقال الله :{حتى إذا فُزِّعَ عن قُلوبهم قالوا ماذا قال رَبّكم قالوا الحق}[سبأ:23]، رواه مسلم في «صحيحه» (2229)

[12] وفي حديث عائشة عند مسلم (2228) : «فيُخلِطُون فيها اكثر من مائة كذبة ».

والترمذي(3224) والبيهقي في «الاسماء والصفات»(ص: 285).

قوله :(صفوان) هو الحجر الأملس والمعنى : أن هذه السموات العظيمة والملائكة العظام والمخلوقات الكبيرة تخضع وترجف وتصعق لما تسمع كلام الله العظيم بالوحي[13] خوفا منه ومهابة له كما قال تعالى ذكره :{لو أَنْزَلْنا هذا الْقُرآن عَلى جَبل لرَأيتَه خاشعا مُتَصدِّعا مِن خَشْيَةِ الله وتِلْكَ الأمثَالُ نضْرِبُها للنَّاس لعلَّهُم يتفكَّرُون} [الحشر:21].

وبَيَّن هذه العظمة بقوله في الآية السابقة في الحديث : {وهو العَليُّ الْكَبِير} فليس هناك شيء أعْلَى منه ولا أكبر ولا أعظم منه تبارك وتعالى عما يقولو الظالمون والمشركون علوا كبيرا .

---

[13] **وفي حديث ابن عباس وابن مسعود : «إذا تكلم بالوحي سمع اهل السموات صلصلة كصَلْصَلةِ الحديد على الصفوان». رواه البخاري في «خلق افعال العباد» (ص60) وأبو الشيخ في «العظمة» (144) وغيرهما وحديث ابن عباس مخرج في «مختصر العلو» (ص 126) .**

وعن ابي هريرة قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ سمع وجبة (أي سقوط شيء) فقال النبي صلى الله عليه وسلم :« تدرون ما هذا؟»قال : قلنا الله ورسوله أعلم، قال:« هذا حجر رُمِي به في النار منذ سبعين خريفا، فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها»، رواه الامام مسلم في صحيحه (2844) وله شاهد من حديث عتبة بن غزوان عند مسلم أيضا برقم(2967).

وروى مسلم ايضا (2842) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يؤتى بجهنم يومئذ –يعني يوم القيامة –لها سبعون ألف زمام مع كل زِمَام سبعون ألف ملك يجُرُّونها».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:«لا تزال جهنم يلقي فيها وتقول:هل من مزيد[14]حتى (يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها الى بعض وتقول : قط قط...) بعزتك

[14] كما قال تعالى:{وَيَوْمَ يقولُ لجَهنَّمَ هلِ امْتَلَأْتِ وتقُولُ هلْ مِن مَزِيد}.

وكرمك، ويبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى ثم ينشئ الله تعالى لها خلقا، مما يشاء»، رواه البخاري في«صحيحه»(7384، 6661، 4848)ومسلم في«صحيحه» (2848) واللفظ له وروواه البخاري أيضا (4849، 4850 2847، 2846، 7449)ومسلم من حديث أبي هريرة بلفظ: «فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله فيها، فيقول: قط قط قط، فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض» .

وعن صهيب الرومي رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟فيقولون : ألم تُبَيِّض وجوهَنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجِنا من النار. قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عزوجل،ثم تلا هذه الآية:{لِلَّذِين أَحْسَنُوا الحُسْنَى وزِيادَة} رواه مسلم في«صحيحه» (181) غيره.

قال الامام النووي في«شرحه»:«قد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين، ورواها نحوا من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيات القران فيها مشهورة».

وقال صلى الله عليه وسلم : «إن الله جميل يحب الجمال»رواه مسلم في«صحيحه»(191) وله شواهد كثيرة تراها مخرجة مفصلةً في «الصحيحة» (1626).

وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم : «اللهم أسالك لذة النظر إلى وجهك ...»، صححه ابن حبان (1968) والحاكم (1/524) ووافقه الذهبي والألباني في «أصل صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم» (3/1008) وقال الحافظ زين الدين العراقي في «تخريج الاحياء» (1/288) : «إسناده جيد».

وعن عبد الله بن عباس- تُرجمان القرآن وحَبْرُ الأمة – رضي الله عنه وعن أبيه قال :«إن الله خلق لوحا محفوظا

من درة بيضاء دَفَّتَاهُ يَاقُوتَةٌ حَمْراءَ قلمه نور وكتابه نور وعرضه ما بين السماء والارض ينظر فيه كل يوم ستين وثلاثمائة نظرة يخلق بكل نظرة ويُحْيِي ويُمِيت،ويُعِز ويُذِل ويفعل ما يشاء [15]وقد سمى سبحانه وتعالى هذا اللوح إماما وكتابا.

يقول الله تبارك وتعالى :{إنَّا نحنُ نُحيِي المَوتى ونكتُبُ ما قدَّموا وآثارَهم وكلَّ شيء أَحْصَيْناهُ في إِمَامٍ مُبِين} [يس: 11].

ويقول سبحانه أيضا :{ ما أصَابَ مِن مُصِيبة في الأَرْض ولَا فِي أنفسِكُم إلاَّ في كِتاب مِن قبْلِ أن نَبْرأَها إنَّ ذلك على الله يَسِير}[الحديد :21].

---

[15] رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (317/10605-10/316) بسند جيد وهو في حكم المرفوع كما لا يخفى لأنه يتعلق بأمر غيبي قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (7/191) رجاله ثقاب ، وله طريق آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وفيه أنه تفسير لقوله تعالى: (كُلَّ يومٍ هو في شَأن) وصححه الحاكم (2/519) وفي سنده ضعف وسيأتي له شواهد أخرى .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: {كلُّ يَوم هو في شَأْن}. قال:

«مِن شَأنِه أن يغفر ذنبا، ويُفرِّج كرْبًا ويرفع قوما ويضَع آخرين ».[16]

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«يقول إن أول ما خلق الله تعالى القلم ، فأخذه بيمينه وكلتا يديه يمين، قال : فكتب الدنيا وما يكون فيها من عمل معمول:بر أو فجور رطب أو يابس، فأحصاه عنده في الذكر،ثم قال:اقرؤوا إن شئتم:{هَذَا كِتَابُنا يَنْطِقُ علَيكُم بِالحَق إنا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنتُم تَعْملُون}

---

[16]رواه ابن ماجه (202) وصححه ابن حبان (1763 – موارد) والبيهقي في «الصفات» (108) والطبراني في «الاوسط» (3140) وابو الشيخ الاصبهاني في «العظمة» (148) وغيرهم وحسن اسناده الحافظ البوصيري في «زوائد ابن ماجة» (1/28) وهو كذلك وصححه العلامة الالباني في تخريجه لكتاب «السنة» لابن أبي عاصم (301) .

[الجاثية:28] فهل تكون النُّسخة إلا من شيء قد فُرِغَ مِنه».[17]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:إن الله عز وجل أَذِن لي أن أُحَدِّث عن ديك قد مَرِقَتْ رِجلَاهُ الأرض وعنقه مُنثَنٍ تحت العرش وهو يقول : سبحانك ما أعظمك ربنا ، فيرد عليه : ما يعلم ذلك من حلف بي كاذبا».

رواه الطبراني في «الأوسط» (7320) وأبو الشيخ الاصبهاني في كتاب «العظمة» (524) والحاكم (4/297) وصححه ووافقه الذهبي وصححه الحافظ المنذري في «الترغيب» (1839- صحيحه) وقال الهيثمي في «المجمع» (4/180-181):«ورجاله رجال الصحيح»، والحديث تراه مخرجًا في «الصحيحة» (150).

---

[17]رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (106 والفريابي في كتاب «القدر» (414) والطبراني في «مسند الشاميين» (673) والآجُرِي في «الشريعة» (542) (745) وهو مخرج في «الصحيحة» (3136) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل : {فلمَّا تجلَّى ربُّه لِلْجَبل جَعَلَهُ دكًّا وخرَّ مُوسَى صَعِقًا} [الأعراف : 143]، قال: «تجلى عز وجل منه مثل هذا»، ووضع الإبهام على الخنصر. وفي لفظ : وأشار صلى الله عليه وسلم بطرف الخنصر، وفي لفظ آخر:«ووضع الإبهام قريبا من طرف خنصره» قال:فساخ الجبل {أي دخل في الأرض}.

رواه أحمد (3/125) والترمذي (3074) وصححه وقال الحاكم (1/25)(2/320) :«صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي وقال ابن كثير:«إسناده صحيح لا علة فيه»، وقال الحافظ ابن منده في كتابه «الرد على الجهمية» (ص92) : «وهذا حديث مشهورة وقدروي من طرق عن أنس بن مالك» وانظر«تخريج السنة»للعلامة الألباني(480-483) .

أقول : وهذه الأحاديث وما في معناها تدل على عظمة الله وتعظِيمه- جلّ في عُلَاه وعظُم في عالِ سَمَاه-

وعلى عظيم قدرته وعِظَم مخلوقاته كاللوح المحفوظ كما تقدم في حديث ابن عباس وقد تَعرَّفَ جلَّ جلاله إلى عباده بصفاته وعجائب مخلوقاته كعرشه العظيم : وسيأتي الكلام على ما ورد فيه من النصوص، وهي تدل على كماله سبحانه وأنه هو المعبود وحده لا شريك له في ربوبيته والوهيته، المُستحِق للعبودية بشتى أنواعها وأن له الأسماء الحسنى والصفات العُلى التي تليق بكماله {ليْسَ كمِثْله شَيء وهُو السَّميع البصير} .

وتأمل تصديقه صلى الله عليه وسلم لليهودي فيما أخبر به عن الله من الصفات العظيمة كما تقدم في حديث ابن عمر وانه تعالى هو العلي العظيم، وهذا يزيد العبد خوفا وطعما في رحمة الله وسعة فضله وأنه هو العلي الكبير إذا حفظه ورعاه لايستطيع أحد البتة أن يؤذيه أو يصل إليه بمكروه، فاللهم ارزقنا خشيتك، فلك الحمد الحسن والثناء الجميل .

وفي الأثر الذي رواه الإمام أحمد في كتاب «الزهد» (460) عن بعض السلف أنه قال : «لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى عَظَمت من عصيت» وقد تقدم تخريجه في المقدمة، فمن عظَّمَ ربَّه كان أبعد الناس عن الوقوعِ في معصيته ومُضادَّة أمرِه ونهيِه.

قال سبحانه وتعالى: {يكَادُ السَّماوَاتُ يتَفَطَّرْنَ من فوقِهِنَّ} روى الإمام ابن جرير وغيره عن قتادة والسُّدِّي وغيرهما : « يتفطَّرْنَ مِنْ عظَمَةِ الله وجلَالِه، والتَّفَطُّر الإنْشِقَاق».

عَظَمَةُ عَرْشِ الرَّحْمَنِ تبَارَكَ وتَعَالَى والْكُرْسِي

لقد صنف في هذه المسالة كثير من أهل العلم والفضل، واعتمدوا فيها بالأساس على نصوص الكتاب والسنة وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم، ومن أشهر من صنف في ذلك من أهل العلم الإمام الحافظ محمد بن عثمان ابن أبي شيبة المتوفى سنة 297 هجرية [18] .

وقد وصف سبحانه وتعالى وهو العظيم الأعظم عرشه بالعظمة في غير ما آية ، وأضافه إليه إضافة إعظام وإجلال وذلك في قوله : {قُلْ مَن رَبُّ السَّماوَاتِ السَّبع وربّ الْعرشِ الْعَظيم } [المؤمنون اية : 86].

[18] انظر ترجمته في «سير اعلام النبلاء» (14/21) وتاريخ بغداد (3/42) وقد طبع كتابه سنة 1418 هـ طبعة محققة في (563) صفحة ومما تميز به كتابه أنه روى الاحاديث والاثار فيه بالأسانيد على عادة المحدثين في زمانه، حتى يتمكن من يأتي بعده من معرفة صحيحها من ضعيفها.

وقوله:{اللهُ لاَ إِله إِلَّا هُو ربُّ العَرشِ العَظِيم} [النمل:21]، وقوله :{ذُو العَرْش المَجِيدِ} [البروج : 15] وقوله :{ذِي قوَّةِ عِندَ ذِي العَرش مَكِين} [الشمس: آية 20]، وقوله: (رَفِيعُ الدَّرجات ذُو الْعَرش)[غافر اية 15].

وأما الكرسي فقد جاء ذكره في موضع واحد في القرآن الكريم في أعظم آية منه كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [19]،وهي آية الكرسي من سورة البقرة، وقد تضمنت هذه الآية صفات عظيمة وأسماء حُسنى جليلة كصفة الحياة التي هي أصل جميع الصفات، وذكر معها قيوميتَه المُقْتَضِيَةِ لِدوامه وانتفاء الآفات جميعها عنه ومنها السنة والنوم والعجز وغيرها، ثم ذكر كمال ملكه ووحدانيته، وسعة علمه وأنه لا سبيل للخلق بمعرفة شيء منه إلا بعد مشيئته لذلك

---

[19] وهو في صحيح مسلم (810) قال الحافظ ابن حجر عقِبَه كما في «هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المشكاة»(2/367-2064-الألباني) وفي رواية قال:«والذي نفس محمد بيده، إن لهذه الاية لِسَانًا وشفتين تُقدِّس الملك عِند ساقِ العرِش »، وهو مخرج في « الصحيحة »(3410).

ثم ذكر سعة كرسيه وعظمته توطئة بين يدي علوه وعظمته[20].

والكرسي أعظم المخلوقات بعد العرش وهو كما يقول غير واحد من السلف الصالحين بين يدي العرش كالمرقات[21] وبهذا جاءت الأحاديث والآثار وإجماع السلف، وسيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

وكلما ازداد العبد بمعرفة ربه وعظمته ازداد له خشيةً وتعظيمًا، فيكون ذلك بادِيًا في نمط حياته وسلوكه في هذه الحياة الدنيا وأنه سيقف بين يدي هذا الرب العظيم الكبير للحساب ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان كما في «صحيح البخاري»[22].

---

[20] مختصر الصواعق (1/288) لابن القيم.

[21] شرح الطحاوية (313)لابن ابي العز وسياتي ذكره في حديث ابن مسعود.

[22] تتمة الحديث :« فينظر أيمن منه فلا يرى الا ما قدم من عمله وينظر أشأم منه فلا يرى الا ما قدم من عمله ، وينظر بين يديه ، فلا يرى إلا=

ونشرع الآن في ذكر أحاديث وآثار الباب وسنقتصر إلا على الصحيح منها وبالله التوفيق .

عن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : دخلت المسجد الحرام، فرأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فجلست إليه ، فقلت : يا رسول الله أيما آية نزلت عليك أفضل قال :

«آية الكرسي، مالسموات السبع في الكرسي إلا كحلقةٍ مُلْقَاةٌ بأرض فلاة[23] وفَضْلُ العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة»[24].

فهذا الحديث خرج مخرج التفسير لقوله تعالى: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّموَاتِ والأَرْض} وهو صريح في كون الكرسي

=النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمره».رواه البخاري (6539) ومسلم (1016) .

[23] أي بمعنى الصحراء والأرض الواسعة.

[24] أنظر تخريجه في «الصحيحة» (109/123/1) .

أعظم المخلوقات بعد العرش .وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:«والعرش لا يُقَدِّر قَدْرَهُ أَحَد» [25]

وقال صلى الله عليه وسلم:«اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلاها، وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة »[26].

وقال صلى الله عليه وسلم لجويرية رضي الله عنها :لقد قلت بعدك أ ماربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته»[27]. قال شيخ الاسلام : «فهذا يبين أن زنة العرش أثقل الأوزان »،[28]

---

[25]رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (ص57) وابن خزيمة (107) والحاكم (2/282) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وقال الهيثمي في «المجمع»(6/323) : (رجاله رجال الصحيح) وحسَّنهُ الشيخ مقبل الوادعي وصححه الالباني في مختصر العلو (102) .

[26] رواه البخاري في كتاب التوحيد (13/404 –فتح).

[27] رواه مسلم في كتاب الذكر (83/8-نووي)

[28] «الرسالة العرشية» (ص 8) .

وكذلك هو أعظم المخلوقات وأكبرها على الإطلاق فسبحان الله رب العرش العظيم .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:«ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام وبين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام ، ثم ما بين كل سماوين مسيرة خمسمائة عام، وغِلَظُ كلِّ سماء مسيرةُ خمسُمِائة عام ، ثم ما بين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام ، وما بين الكرسي وبين الماء خمسمائة عام ، والعرش على الماء ، والله تعالى فوق العرش يعلم ما أنتم عليه، والأرض سبْعٌ وبين كلِّ أرضٍ خمسمائة عام، وغِلظُ كل أرضٍ خَمْسُمِائة عام ».

رواه الدرامي في «الرد على الجهمية» (81) وابن خزيمة في «التوحيد» (149) وأبو الشيخ في «العظمة» (279) واللالكائي في«شرح الأصول» (396/3) والطبراني في «الكبير» (9/228) وابن قدامة في «العلو» (75) والبيهقي في «الصفات» (555) والحافظ الذهبي في

«العلو» (103 -مختصر) وقال «إسناده صحيح» وكذلك قال العلامة ابن القيم في «اجتماع الجيوش»(ص100) وقال الحافظ الهيثمي في «المجمع» (86/1) : «رجاله رجال الصحيح»، وقال العلامة الألباني في «مختصر العلو» (ص 104) : «وسندهم جيد».

وهو وإن كان موقوفا على ابن مسعود، فهو في حكم المرفوع كما قال غير واحد من أهل العلم انظر التعليق على «المطالب العالية» (14/176) لابن حجر والتعليق على «الصفات» (555) للبيهقي، لا سيما أن لفقرة المسافة بين كل سماء شواهد مرفوعة منها :

1-حديث عبد الله بن عمر عند أحمد (197/2) والترمذي (2588) والحاكم (2/438) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الترمذي والبغوي في «شرح السنة» (15/248) و غيرهما بلفظ : «لو أنَّ رصاصةً مثل هذه وأشار الى مِثْلِ جُمجُمةٍ أُرْسِلت من السماء الى الارض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل، ولو

أنها أرسلت من رأس السلسلة ، لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها [29] .

2-حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وهو حديث طويل وفيه قوله صلى الله عليه وسلم :هل تدرون كم بين السماء والأرض ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم، قال :«بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكِثَفُ (أي غلظ كل سماء خمسمائة سنة».

أخرجه أحمد (1/206) وأبو الشيخ في «العظمة» (10) وغيرهما وصحَّحَه العلامة ابن القيم في «تهذيب السنن» (94/7) وهو صحيح لغيره.

3-حديث أبي سعيد الخدري عند الترمذي وأحمد (3/75) وابن حبان (419/16) وقال الترمذي (74/5) : «حسن غريب» وهو كذلك في الشواهد .

---

[29] يعني قعر جهنم أعاذنا الله منها .

4-حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعا بلفظ: «ما بين السماء الدنيا إلى الأرض مسيرة خمسمائة سنة وغِلَظُ كل منهما مسيرة خمسمائة سنة وما بين كل سماء إلى التي تليها مسيرة خمسمائة سنة، إلى السماء السابعة...»الحديث.

رواه إسحاق بن راهوية في «مسنده» (3430 –مطالب)، والبزار في«مسنده» (2/450 – كشف) وأبو الشيخ في «العظمة» (199) والبيهقي في «الصفات» (554) وغيرهم وهو صحيح المتن في الشواهد .

قال الإمام المفسر أبو عبد الله القرطبي المالكي رحمه الله في«الجامع لأحكام القران» : «والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق بين يدي العرش والعرش أعظم منه».

ونقل عن ابن عطية قوله:«الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش»، وقال مجاهد بن جبر : «ما السموات والأرض في الكرسي إلا بمنزلة حلقة ملقاة في أرض

فلاة»[30]، وآية الكرسي منبئة عن عظم مخلوقات الله تعالى.[31]

وقال الحافظ البيهقي:

«والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق بين يدي العرش، والعرش أعظم منه [32]»

قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: {وهو رَبُّ العرْشِ العظِيم} «أي هو مالك كل شيء وخالقه؛ لأنه رب العرش العظيم الذي هو سَقْفُ المخلوقات وجميع الخلائق من السموات والأراضين وما فيهما تحت العرش مقهورين بقدرة الله تعالى».

وفي«تفسير الجلالين» : «الكرسي نفسه مُشْتَمِل على السموات والأرض لعظمته»، وروى ابن جرير وابن ابي

[30] رواه عبد الله بن أحمد في السنة (ص 456) والذهبي في العلو (94) وسعيد بن منصور في «سننه» (425) والبيهقي في «الصفات» (511) من طريقين عنه .

[31] «تفسير القرطبي»

[32] «الأسماء والصفات» (ص 493)

حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى {وسِع كُرسِيُّه السّمَوات والأَرْض} قال : «لو أن السموات السبع والأرضين السبع بُسِطْنَ ثم وُصِلْن بعضهن الى بعض ما كن في سعته -يعني الكرسي- إلا بمنزلة حلقة في المَفازة [33]»، إسناده حسن بما تقدم من الشواهد.

٭<u>فائدة</u> : قال القرطبي المالكي في «تفسيره» : «وأرباب الإلحاد يحمِلُونَها – يعني قوله تعالى : {وَسِع كرسيه السموات والأرض} على عِظَم الملك وجلالة السلطان ويُنكرُون وجودَ العرش و الكرسي، وليس بشيء وأهل الحق يُجِيزُونَهُما ، إذ في قدرة الله متسع فيجب الإيمان بذلك»، وقال أيضا (4/153): «فهذه مخلوقات أعظم بكثير جدا من السموات والارض، وقدرة الله أعظم من ذلك كله».وانظر لزاما كلامه فيما يأتي عند الكلام على سعة الجنة وعِظَمها .

[33] بمعنى الصحراء و الأرض الواسعة .

وقال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري رحمه الله :

«وفي هذا حجة قاطعة تدمغُ شبهات الملحدين الذين يحاولون فتنة المؤمنين والتلبيس عليهم بقولهم :اذا كانت الجنة عرضها السموات والأرض فاين محل النار؟ لقد اعطى الله المسلمين المؤمنين سلاحا يشهرونه عليهم يُطَئْطِؤُون رؤوسهم ويُرْغِمون أنوفهم قائلين لهم :

ليس السموات والأرض بشيء بالنسبة لوسع الله فإنهما بالنسبة إلى الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض ثم الكرسي بالنسبة إلى العرش كذلك وجميع العوالم كالذرة بيد أحدنا بالنسبة لوسع الله وهنالك يخرسون، كما في ذلك دلالة واضحة على عظيم قدرة الله وسِعَةِ مُلكِه وقوة علم وإحاطته، مما يستحق به الإجلال والتعظيم وحصر العبودية له، والاحتكام إليه».كذا في «صفوة المفاهيم والآثار»

أقول: وهذا هو المَغْزَى كلُّه من ذكر هذه النصوص ووُرودها في الكتاب والسنة الصحيحة، نسأل الله أن يُقْسِم لنا من خشيته ما يحول به بيننا وبين معاصيه،آمين

يقول الله تبارك وتعالى:{لخَلْقُ السمَواتِ والارضِ أَكبَرُ مِنْ خَلْقِ الناس} أي أعظم في النفوس وأجل في الصدور لِعِظَم أَجْرامهماواستقرارهما من غير عَمَدْ وجَرَيَانِ الأفْلاك بالكواكب من غير سبب. {ولكنَّ أكثرَ الناس لاَيَعْلَمُون} بِعَظيم قدرة الله وأنه لا يُعْجِزُه شَيء[34].

<u>قال شيخ الاسلام رحمه الله :</u>

«والكُرْسيُّ فوق الأفلاك كلها والعرش فوق الكرسي ونسبة الأفلاك وما فيها بالنسبة إلى الكرسي كحلقة في فلاة والجملة[35] بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة .

والأفلاك مستديرة بالكتاب والسنة والإجماع ، فإن لفظ «الفلك» يدل على الاستدارة ومنه قوله تعالى:{وكلٌّ

---

[34] « فتح القدير » (1709/2)سورة غافر : الآية 56 .

[35] أي الافلاك مع الكرسي.

فِي فلَكٍ يَسْبَحُون} قال ابن عباس : «في فلْكَةٍ كفلكة المغزل». [36]

ومنه قولهم : تَفَلَّكَ ثَدْيُ الْجَارِيَةُ إذا اسْتَدَار وأهل الهيئةِ والحساب مُتَّفقون على ذلك .

وأما العرش فإنه مُقبَّب لِما روي في «السنن» [37] لأبي داود عن جبير بن معطم قال :آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابي فقال : يا رسول الله جهدت الأنفس وجاع العيال وذكر الحديث إلى أن قال رسول الله صلى الله وسلم:«إن الله على عرشه، وإنَّ عرشَه على سمواته وأرضه كهكذا -وقال بأصبعه مثقل القبة-» .

ولم يثبت أنه فلك مستدير مطلقا، بل ثبت أنه فوق الأفلاك وأن له قوائم كما جاء في الصحيحين [38]عن أبي

---

[36]رواه ابن جرير في «تفسيره» (23/8) وأبو الشيخ في «العظمة» (650) وسنده صحيح .

[37]رواه ابو داود (4726) وغيره وهو مخرج في «الظلال»(575) و«المشكاة» (5660) وسنده ضعيف لكن يصح في معناه أحاديث أخرى تقدمت.

[38] البخاري (5/70-فتح) ومسلم (101/4)

سعيد قال : جاء رجل من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد لطم وجهه فقال :

يا محمد إن رجلا من أصحابك لطم وجهي فقال النبي صلى الله عليه وسلم :« أُدْعُوه » فدعوه فقال :«لِمَ لطَمْتَ وجهَه ؟»فقال : يا رسول الله إني مررت بالسوق وهو يقول : والذي اصطفى موسى على البشر فقلت:يا خبيث وعلى محمد؟ ! فأخذتني غضبة فلطمته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :«لا تُخَيِّروا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فاذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جُوزِيَ بصَعْقَةِ الطُّور».

وفي وصف (عُلُوِّ) العرش قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا سألتُم الله فأسالوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلاها، وفوقَه عرش الرحمن ومنه تُفَجَّر أنهار الجنة» والحديث في «الصحيح».

فقد تبين بهذه الأحاديث أنه أعلى المخلوقات وسقفُها وأنه مقبَّب وأن له قوائم ، وعلى كل تقدير فهو فوق سواء كان محيطا بالأفلاك أو غير ذلك فيجب أن يعلم أن العالم العلوي والسفلي بالنسبة إلى الخالق- سبحانه وتعالى- في غاية الصغر لقوله تعالى:{وَمَا قدَرُوا اللَّه حَقَّ قَدْرِهِ}..الآية» [39].

عَظَمَةُ خَلْقِ الْمَلاَئِكَة

يقول الله تبارك وتعالى:{الحَمد لله فَاطِرِ السّموات والأرض جَاعل الملائكة رُسلًا أُولِي أَجْنِحةٍ مثْنى وثُلاَثَ ورُباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير}.[سورة فاطر : 1]

---

[39]«مجموع الفتاوى» (5/150-152)، وقال القرطبي (4/155) : «وإذا كانت المخلوقات كلها بالنسبة إلى العرش كالحلقة، فمن ذا الذي يُقدِّرُه ويعلم طوله وعَرْضُه إلا الله الذي لا نهاية لقدرته ولاغايةَ لِسِعَةِ مَمْلكَتِه سبحانه وتعالى».

يقول تعالى ذكره: الشكر الكامل له سبحانه الذي لا تصلح العبادة إلا له، ولا ينبغي أن تكون لغيره خالق السموات السبع والأرض، جاعل الملائكة رسلا إلى من يشاء من عباده (أولى) أي أصحاب أجنحة فمنهم من له اثنان ومنهم من له ثلاثة أجنحة ومنهم من له أربعة، يزيد في هذا الخلق ما يشاء من الأجنحة على الآخر، وينقص عن الآخر ما اراد، وكذلك في جميع خلقه وسائره يزيد ما يشاء وينقص ما يشاء، فله القدرة والسلطان في كل شيء، لا يمتنع عليه فعل شيء أراده سبحانه وتعالى [40].

وفي الحديث الذي رواه البخاري (3232) ومسلم (174) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستمائة جناح زاد الإمام النسائي كما في«سننه»[41]:«يتناثر منها [42] تَهاويلُ

---

[40] تفسير ابن جرير الطبري باختصار .

[41]«السنن الكبرى» (11542)وسنده جيد قوي كما قال ابن كثير.

[42] يعني أجنحته والتهاويل هي الاشياء المختلفه الالوان المُحيِّرة للعقول. «النهاية».

الدر والياقوت»، وفي رواية أخرى عنه أيضا في قوله تعالى :{ مَا كذَبَ الفُؤادُ مَا رَأَى} قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في حُلَّة من رفرف، قد ملأ ما بين السماء والأرض» رواه أحمد (1/394و 418) والنسائي في «الكبرى» (11531) وابن منده في «الإيمان» (751) وغيرهم وسنده صحيح كما تراه مبينا في «الصحيحة» (7/1416).

وفي رواية أخرى عند أحمد أيضا (449/1) وابن خزيمة في«التوحيد» :«رأى رفرفًا أخضرسدَّ أفق السماء» وسنده صحيح [43] كما في «الصحيحة» (1416/7) وقال :

وله شاهد من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«رأيت جبريل عليه السلام منهبطا، قد ملأ ما بين السماء والأرض [44] وعليه ثياب سندس معلقا

---

[43] واخرجه البخاري ايضا (3232) في تفسير قوله تعالى : {لقَد رَأَى مِن آيَاتِ ربِّه الكُبْرى }، وقوله:(رفرف) أي الديباج.

[44]ورواه ابو الشيخ (495) بلفظ : «سدَّ عظم خلقه ما بين السماء والارض»، وسنده صحيح.

به اللؤلؤ والياقوت» أخرجه احمد (6/120)، وروى البخاري (3238) من حديث جابر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

«بينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملَك -يعني جبريل- الذي قد جاءني بِحِرَاء، قاعدٌ على كرسي بين السماء والأرض».

وعن عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ما بين منكبي جبريل مسيرة خمسمائة عام للطائر السريع» رواه عبدالرزاق في «تفسيره»(388/2) ومن طريقه أبو الشيخ الاصبهاني في «العظمة» (375) وسنده جيد .

وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :«أُذِنَ لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش، أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مئة عام» رواه أبو داود (4727) وغيره بسند صحيح كما تراه مبينا في«الصحيحة» (238/1).

فسبحان الذي خلق حملة العرش بهذه العظمة وأعطاهم من القوة التي استطاعوا بها أن يَحْمِلُوا هذا العرش العظيم الذي هو أكبر المخلوقات وأثقلها كما تقدم .

وقال ابن عباس : «حملة العرش ما بين كعب أحدِهم إلى أسفل قدمه مسيرة خمسمائة عام» رواه ابن أبي شيبة في «العرش» (25) بسند جيد وهوفي حكم المرفوع

وعن ابن عباس قال : أقبلت يهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا القاسم إنا نسألك عن أشياء إن أجبتنا فيها أتبعناك وصدقناك وآمنا بك قال : فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على نفسه قالوا : الله على ما نقول وكيل، قالوا : أخبرنا عن علامة النبي قال : «تَنام عيناه ولا ينام قلبه»

قالوا : فأخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر ؟ قال : «يلتقي الْمَاءَان، فإن علَا ماء المرأة ماء الرجل آنثَتْ وإن علاَ ماء الرجل ماء المرأة أَذْكَرَتْ».قالوا:صدقت

فأخبرنا عن الرعد ما هو ؟ قال:«الرعد ملك من الملائكة مُوكَّلٌ بالسَّحاب بيديه أو في يدِه مِخْراقٌ من نار يزجر به السحاب والصوت الذي يُسْمَعُ منه زَجْرُه السحاب إذا زَجَره حتى ينتهي إلى حيث أمره».

رواه أحمد (274/1) والترمذي (4/129) وقال: «حديث حسن صحيح غريب» وهو مخرج في «الصحيحة» (1872) مع شواهد له، وفي الباب آثار أخرى كثيرة عن ابن عباس وعلى بن ابي طالب انظرها في «تفسير الطبري» أوائل سورة البقرة (117-1/116) و«العظمة» (767و768) لأبي الشيخ.

وقد جاءت أحاديث وآثار كثيرة فيها أن جبريل عليه السلام موكل بالمرسلين والحرب معهم ومع اتباعهم وأن ميكائيل موكل بالقطر والنبات وإسرافيل بالنفخ في الصور يوم القيامة وأن ملك الموت بقبض الأرواح[45] وانظر

---

[45] قال تعالى: (قُلْ يتَوَفَّاكُم ملَكُ المَوتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) (السجدة:11).

بعضها في «العظمة» (ص808 وما بعدها) لأبي الشيخ الأصبهاني.

وفي الحديث الآخر:«إن طَرف[46]صاحب الصور[47]منذ وُكِّلَ به مستعد ينظر نحو العرش، مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه [48]،كأنَّ عَيْنَيْه كوكَبان دُرِّيان»، وفي لفظ : «كيف أَنْعَمُ وقد الْتَقَمَ صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ...» «السلسلة الصحيحة» (1078 و 1079).

قوله : (كوكبان دريان) أي شديدا الإنارة قال الفراء : الكوكب الدُّرِّي عند العرب هو العظيم المقدار»، فلِعظَمَةِ خلق إسرافيل عليه السلام وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم عينيه كأنهما كوكبان دريان .

والصور بمعنى القرن كما في اللفظ الثاني للحديث وكذلك فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سأله

---

46 أي بَصَره.

47 يعني إسرافيل عليه السلام

48 أي بَصَرُه

أعرابي عن معناه فقال:«الصور قَرْنٌ يُنفخ فيه»والحديث مخرج في«الصحيحة»(1080) أيضا.

فهو إذا قرن عظيم لا يعلم عظمته إلا الله فيه أرواح الخلق،فسبحان الخالق لهذا القرن ولصاحبه تبارك وتعالى، فإذا صعق من في السموات وهي بهذه الكبر والعظمة مع من في الأرض فكيف تكون عظمة هذا الصور؟

وقال صلى الله عليه وسلم : «إن لله ملكا أعطاه أسماع الخلائق، فهو قائم على قبري إذا مت فليس أحد يصلي علي صلاة إلا قال : يا محمد صلى عليك فلان بن فلان قال:«فيصلي الرب تبارك وتعالى عليَّ ذلك بكل واحدة عشرا» الحديث مخرج في «السلسلة الصحيحة» (44/4).

فسبحان الذي خلق هذا الملَك بهذه القدرة في السمع، وقال تعالى ذِكرُه مُخْبِرًا عن قيام الملائكة صفا

يوم القيامة :{يَوْمَ يقُومُ الرُّوحُ والملائكة صفًا لا يتكلمون} (النبا :38).

قال ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنه: «الروح ملك من أعظم الملائكة خلقا». رواه ابن جرير في «تفسيره» وأبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (411) وسنده جيد [49].

ولا يمنع قول ابن عباس هذا من أن يكون المراد به هو جبريل عليه السلام وقد ذكرنا الأحاديث التي وصفت عظمة خلقه.

ومن الملائكة العظام أيضا ملك الموت فقد جاء ذكره في القرآن والسنة الصحيحة، فروى الإمام البيهقي في «الاسماء والصفات» (552) وغيره عن ابن عباس قال :

---

[49] وإن كان فيه أبو صالح كاتب الليث لأنه من رواية ابي حاتم الحافظ عنه ورواية الحفاظ عنه مستقيمة وعلي بن طلحة وإن كان لم يدرك ابن عباس فإن الواسطة بينهما مجاهد بن جبر كما هو معروف عند أهل الحديث والتفسير .

«ذُكِرَ أنَّ خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب» وسنده جيد.

خلق الله لهذا الملك من القدرة والسلطان وعظم الخلق ما جعله قادرا على قبض الأرواح الكثيرة في أماكن كثيرة مختلفة بعيدة الأطراف في لحظة واحدة. انظر«تفسير القرطبي»(14/96).

وعن حكيم بن حِزَام رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه رضي الله عنهم إذ قال لهم: هل تسمعون ما أسمع ؟ قالوا : ما نسمع من شيء. قال نبي الله صلى الله عليه وسلم :«إني لأسمع أَطيط السماء [50]وما تُلاَمُ أن تَئِط، ما فيها موضع شِبْر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم»،وفي لفظ:«أورَاكِع».

وزاد في رواية :«فذلك قول الملائكة» :{ومَا مِنَّا إلاَّ لَه مَقام معْلُوم وإنَّا لنَحنُ الصَّافُّون وإنَّا لنَحْن المُسَبِّحُون)

---

[50] أي أن كثرة ما في السماء من الملائكة قد اثقلها حتى أطت وسمع لها صوت.

[الصافات:165]،والحديث تراه مخرجا في«الصحيحة» (1059-1060).

فسبحان الذي خلق هؤلاء الملائكة بهذه الكثرة والعظمة وها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف لنا ويذكر ملائكة آخرين في السماء السابعة حيث يقول في أثناء حديث الإسراء:«ثم رفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال : هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك ، فإذا خرجوا منه لم يعودوا فيه [51]».

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :« ما من يوم طلعت شمسه إلا وبجنبيها ملكان يناديان نداء يسمعه خلق الله كلهم غير الثقلين [52]:يا أيها الناس هلموا إلى ربكم، أن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ،ولا آبت [53]الشمس إلا وكان بجنبيها ملكان يناديان نداءا يسمعه خلق الله كلهم غير الثقلين:

---

[51] وذلك لكثرتهم كما في "المرقاة" (10/561) .

[52] أي الجن والأنس .

[53] أي غربت .

اللهم أعط منفقا خلفا وأعْطِ مُمْسكا تلفًا». والحديث في «صحيح الترغيب» (917).

فسبحان الملك العظيم الذي أعطى لهَذين الملَكَيْن هذه القدرة حتى يُسْمِعَان الخلق كلهم.

ومن الملائكة العظام أيضا ملك الجبال الذي بعثه الله إلى نبيه لما آذاه قومه وذلك فيما رواه البخاري (3231) ومسلم (1795) قال صلى الله عليه وسلم :

«فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فَلم أسْتَفِقْ إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك، وما رَدُّوا عليك وقد بعث إليك ملَكُ الجِبال لتأمره بما شئت منهم فناداني ملك الجبال، ثم قال : يا محمد إن شئت أن أُطْبِقْ عليهم الأَخشبين[54]» فقال النبي صلى الله عليه وسلم :«أرجُو أن يخرج الله من أصلابِهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا».

[54] هما جبلا مكة أبو قبيس والذي يقابله .

قوله : «ملَك الجبال» أي المُوَكَّل بها كما قال الحافظ ابن حجر.

قوله : «فسلم علي»أي تسليم تعظيم وتكريم، وقوله : «أطبق عليهم»من أطبق إذا جعل الشيء فوق الشيء محيطا بجميع جوانبه، والمعنى إذا أردت أن أقلب عليهم و «الأخشب» كل جبل غليظ. أفاده العلامة علي القاري في «مرقاة المفاتيح»(10/524) .

عظَمةُ المخْلُوقَات يَومَ القِيَامَة

-عظمة الأرض التي يُحشرُ عليها الناس يوم القيامة وامتِدَادُها :

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال :سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :«يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم (وفي لفظ : معْلَم) لِأَحد. رواه البخاري (6521) ومسلم (2790).

قوله : «بَيْضَاء عَفْرَاءْ» قال الخطابي: معناه:بياض ليس بالناصح، وقال عياض :بياضها يضرب ويميل إلى الحمرة قليلا، فهي ليست شديدة البياض .

قوله : (كقرصة النقي) القُرصة بمعنى الرَّغيف شبه الأرض يومئذ بالرغيف في لونه وشكله ، والنقي :بمعنى الدقيق والطحين النظيف الصافي.

قوله :(ليس فيها علم أو معلم لأحد) قال عياض : المراد أنها ليس فيها علامة سكنى ولا بناء ولا أثر

ولا شيء من العلامات التي يهتدي بها في الطرقات كالجبل والصخرة البارِزة»َ.

وفي هذا تعريض وإشارة واضحة بأن أرض الدنيا قد ذهبت وانقطعت العلاقة منها واضمحلت وأن أرض الموقف تجَدَّدت، وفيه إشارة أيضا إلى أن أرض الموقف والقيامة أكبر جدا من أرض الدنيا وفيه أيضا دليل على عظيم القدرة الربانية .

والحكمة في الصفة المذكورة في الحديث للأرض يوم القيامة أن ذلك اليوم يوم عَدل وظهور حق، فكان من الحكمة أن يكون محل وقوع ذلك طاهرا عن عمل المعصية والظلم ، وليكون تجليه سبحانه على عباده المؤمنين على أرض تليق بعظمته[55]{وأَشْرَقَتِ الأَرضُ بنُور ربِّها وَوُضِعَ الكِتاب وجِيءَ بالنَّبِيئِين والشُّهداء وقُضِيَ بينَهم بِالحَقِّ وهُم لاَ يُظْلَمُون} [الزمر:66].

---

[55] انظر «فتح الباري» (11/457/ح 6521) و«مرقاة المفاتيح» (10/188).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم :«تكون الأرض يوم القيامة خُبْزَة واحدة يتَكفَّؤُها (وفي لفظ : يَكفؤُها) الجَبَّار بيده كما يكفأُ أحدكم خُبزَته في السفر نُزُلًا لأهل الجنة».

رواه البخاري (6520) ومسلم (2792).

قوله: (يتكفؤها) أي يُمِيلُها[56] كما كفَأت الإناء إذا قلَبْتُه .

قوله : (خبزة واحدة) أي كخبزة واحدة، فضرب المثل بها لاسْتِدَارَتِها وبياضها، فالأرض يوم المحشر تكون كذلك، وهذا كحديث سهل بن سعد الذي سبق قبله .

في قوله : (كقرصة النقي) تشبيه قرَّبَ به المعنى من وجهين:الأول: بيان الهيئة التي تكون الأرض عليها يومئذ الثاني : بيان عِظَمِ مِقْدارها ابتداعا واختراعا لأن الله هو الذي هَيَّئَها نُزُلاً وتكرُمةً معجلة لأهل الجنة، كما يُعجِّل

[56] حتى تجتمع وتستوي وتمد كما في روايات أخرى تأتي بعد .

للمسافر زاده ونزله[57]، ولعل هذا نظير قوله تعالى عن أهل الجنة في قولهم : {وقالوا الحَمد لله الذي صَدَقَنا وَعَده وأَوْرَثَنا الأَرضَ نتَبَوَّؤُ من الجنة حيثُ نَشاء) فعبروا عن الجنة بالأرض.

ونظيره قوله تعالى أيضا :{ولقَد كتَبْنا في الزَّبُور من بعد الذِّكْرِ أن الأرض يرِثُهَا عبادِيَ الصَّالِحُون}، قال ابن عباس: «هي أرض الجنة»، وكذا قال أبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير والشعبي وقتادة والسدي وأبو صالح والربيع بن أنس والثوري [58].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه تلا هذه الآية:{يوم تُبَدَّلُ الأَرضُ غير الأرض والسموات وبرَزُوا لِلَّه الوَاحِدِ القهَّار} قال: «يُجَاءُ بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضَّة لم يُسْفَك فيها دم، ولم يُعْمَل عليها خطيئة [59]،قال: فأول ما يحكم بين الناس فيه في الدماء».رواه ابن جرير

---

[57] انظر «الفتح» (حديث6520/454/11ج)

[58] رواه عنه وعن غيره ممن ذكرنا ابن جرير، وانظر تفسير ابن كثير.

[59] زاد الحاكم من طريق آخر:يُسْمِعهم الدَّاعي وينفُذُهُم البصر حُفاة عُراة

(13/164) والحاكم (4/570)، وصحَّحَهُ ووافقه الذهبي وهو صحيح بطريقيه.

وعن عبد الله بن عمرو العاص رضي الله عنهما قال :«إذا كان يوم القيامة مُدَّتْ الأرض مَدَّ الأديم وحشر الله الخلائق الإنس والجن والدواب والوحوش، فإذا كان ذلك اليوم جعل الله القصاص بين الدواب حتى تقتص الشاة الجَمَّاء من القَرْناء بنَطْحَتِها، فإذا فرغ الله من القصاص بين الدواب قال : لها كوني ترابا فتكون ترابا فيراها الكافر فيقول : يا ليتني كنت ترابا» رواه ابن جرير كما في «الصحيحة» (4/607) والحاكم (4/575) وإسناده جيد كما قال العلامة الألباني رحمه الله .

قوله : (مدَّ الأديم) أي على صفة أرض مستوية ليست فيها حجارة ولا علم لأحد كما تقدم في حديث سهل بن سعد .

*فائدة: قال الامام النووي في«شرح مسلم»18/7:

«وأما القصاص من (الشاة) القرناء للشاة الجلحاء[60] فليس هو من قصاص التكليف، إذ لا تكليف عليها، بل هو قصاص مقابلة»، ونقل العلامة علي القاري عن النووي أيضا قوله : «فإن قيل:الشاة غير مُكلَّفة،فكيف يقتص منها؟ قلنا : إن الله تعالى فعَّال لما يريد، ولا يسأل عمَّايَفعل،(والحِكمة) [61]منه إعلان العباد أن الحقوق لا تضيع بل يقتص حق المظلوم من الظالم» انتهى.

قال القاري متعقبا : «وهو وجه حسن وتوجيه مستحسن وجملة الأمر أن القضية دالة بطريق المبالغة على كمال العدالة بين كافة المكلفين فإذا كان هذا حال الحيوانات الخارجة عن التكليف فكيف بذوي العقول من القوي والضعيف».

---

[60] أي التي لا قرن لها

[61] الاصل بلفظ (الغرض) فلم يسحسنه القاري وأشار إلى أن الأليَق به أن يقال : والحكمة منه ... إلخ وهو كذلك لذا اثبته بلفظ : (الحِكْمة).

-عظمة الميزان التي تُوزن فِيه الأعمال يوم القيامة:

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :«يُوضَعُ الميزان يوم القيامة، فلو وُزِنَ فيه السموات والأرض لوَسِعَتْ فتقول الملائكة : يا رب ! لِمن يزن هذا ؟ فيقول الله تعالى:لمن شئتُ من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، ويُوضَعُ الصراط مثل حدِّ الموسى، فتقول الملائكة، من تُجِيزُ على هذا ؟! فيقول : من شئت من خلقي، فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك».

رواه الحاكم (4/586) وصححه ووافقه الذهبي، وهو مخرج في «الصحيحة» (941).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

«إن الله سيُخلِّص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشُر عليه تسعة وتسعين سِجِلاًّ، كل سجل مثل مدَّ البصر، ثم يقول : أتنكر من هذا شيئا ؟ أَظلَمك كَتَبَتِي الحافظون ؟ فيقول: لا يا رب فيقول :أفَلك عُذْرٌ؟ فيقول : لا يا رب فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها : أشهد أن لا اله إلا الله ، وأشهد ان محمدا عبده ورسوله .

فيقول : أُحْضُر وزنَك، فيقول : ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ ! فقال : إنك لا تُظلم قال : فتُوضع السِّجِلاَّت في كفّة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقُل مع إسم الله شيء».

رواه الترمذي (2639) وحسنه وصححه الحاكم (1/6 و529) على شرط مسلم ووافقه الذهبي والألباني في «الصحيحة » (ذ1/262/135) .

قال العلماء : إن الميزان يوم القيامة له كفتان حقيقيتان، وإن العمل يُوزن بوضع الصَّحِيفة التي كُتِبَ

فيها كما تقدم في الحديث، وكذلك يُوزن العامل بوزن كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في غير ما حديث عند البخاري (4729) وغيره،وانظر «النهاية في الفتن والملاحم» للحافظ ابن كثير (ص333) وللعلامة مَرْعِي الكَرْمِي كتاب «تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان» فيه فوائد زوائد .

-ضخَامَةُ جهَنَّم واتِّساعُهَا وبُعْدُ قَعْرِها وضخامَةُ أَهْلِها وما فيها من العَقَارِب والحيَّات العَظِيمَة الخَلْق أعاذَنا اللّه وإياكم منها:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يُؤْتَي بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زِمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجُرُّونَها» [62] رواه مسلم (2842) .

---

[62] أي يُجَاءُ بها من المحل الذي خلقها الله فيه، فتُدَار بأرض المحشر حتى لا يبقى للجنة إلا الصراط كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة أفاده القرطبي في «شرح مسلم» (4/1653) فانظره ففيه فوائد .

قوله (زمام) :هو ما يشد به قال في «مرقاة المصابيح» (337/10):«وفائدة هذه الأَزِمَّة التي يُجَرُّ بِهَا الإِشارة إِلَى عَظمَتِها " .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، اذْ سمِع وجْبةً فقال النبي صلى الله عليه وسلم:«تدرون ما هذا؟» قال: قلنا : الله ورسوله أعلم قال :«هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفا فهو يهوي في النار الان حتى انتهى الى قعرها»[63]رواه مسلم (2844) وله شاهد آخر عنده برقم (2967).

قوله : (سبعين خريفا) أي سبعين عاما وهذا يدل على عِظَم جهنم وبُعد قعرها أعاذَنا الله وإياكم منها آمين وفي معناه أحاديث كثيرة انظر بعضها في «الصحيحة» (2865) وكتاب «الفتن» (ص427) للحافظ ابن كثير .

---

[63]قال القرطبي في شرح مسلم (4/1654) : «فيه دليل أن النار قد خُلِقت أَعَدَّ فيها ما شاء الله، مما يعذب به من يشاء وهو مذهب اهل السنة خلافا للمُبتدعة».

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«ضِرْسُ الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغِلَظُ جلدِهِ مسِيرةُ ثلاث» أي ثلاث أيام» رواه مسلم (2851).

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :«ما بين مَنْكِبَيْ الكافر[64] مسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أيام للرَّاكِبِ المُسْرِعِ» رواه البخاري (6551) ومسلم (2856).

وعن ابي هريرة ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إن غلط جلد الكافر ثنتان وأربعون ذِرَاعا[65] وإن ضِرْسَهُ مثل أحد، وإن مَجْلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة» رواه الترمذي وصححه (2577) هو وابن حبان (2616)والحاكم(4/595)والألباني في «الصحيحة» تحت (1105) ، قال الإمام القرطبي في «المُفْهِم لما أُشْكِلَ من تلخبص صحيح مسلم»: (4/1654)

---

[64] زاد مسلم : في النار .

[65] زاد في رواية : (اثنان وأربعون ذِراعًا بذِرَاع الجَبَّار) قال ابن حجر في معناه : أشار بذلك الى عِظم الذراع» انظر «الفتح» (517/11).

«إنما عُظِّمَ خَلْقُ الكافر ليعظم عذابه ويتضاعف».

قوله:(الذراع) هو من طرف المِرْفَق إلى الأصبع الوسطى والسَّاعد كذا في «القاموس»، وقال الإمام النووي في«شرح مسلم» (17/168) : «وهذا التعظيم كلُّه لخلق أهل النار حتى يكون أبلغ في إيلامهم وكل هذا مقدور لله تعالى يجب الإيمان به لإخبار النبي صلى الله عليه وسلم به».

وقال الإمام القاضي عياض -رحمه الله- :«يُزَادُ في مِقدار أعضاء الكافر، زيادة في تعذيبه بسبب زيادة المَاسّة للنار»كذا في«المرقاة» (10/341).

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة» رواه الطحاوي في «مشكل الآثار» (1/66-67) بسند صحيح على شرط البخاري، وقد أخرجه في «صحيحه» (3200) وانظر مزيد تخريجه في«الصحيحة» (124).

قوله :(ثَوران)أي كثَوْرَيْن، فهو تشبيه بليغ، وقوله: (مُكَوَّران)أي يُلَفَّان ويُجْمَعَان ويُلْقَيان ويُطْرَحَان فِي النار قال تعالى :{إذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}.

* فائدة : إلقاءُ الشمس والقمر في النار يحتَمِل أمرين الأول :أنهما من وقود النار، ولا يلزم من جعلهما في النار تعذيبهما، فإن لله في النار ملائكة وحجارة وغيرها، لتكون لأهل النار عذابا وآلة من آلات العذاب، وما شاء الله من ذلك فلا تكون هي معذبة .

الثاني:أنهما يُلْقَيَان فيها تَبْكِيتًا لعُبّادِهما في الدنيا وليعلموا أن عبادتهم لهما كانت باطلا لم تغني عنهم شيئا.

وعن أبي هريرة ايضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«من أتاه الله مالا فلم يُؤَد زكاته مُثِّلَ لَه يوم القيامة شُجاعًا أقرع، له زَبِيبتَان يُطَوِّقُه يوم القيامة ثم يأخذ بِلَهزِمَتيْه – يعني شِدْقيْهِ – ثم يقول : أنَا مالُك أنا

كنْزُك ثم تلا : {ولايحسبن الذين يبخلون} [آل عمران] رواه البخاري (1403).

وفي رواية :«يفِرُّ منه وهو يَتْبعه ويَتَّقِى مِنْه فَيَلْقَمُ يدَهُ ثم يُطَوِّقُهُ»، وفي رواية ابن حبان في «صحيحه» (3266 – التعليقات الحسان) :«فلا يزال يتبعُهُ حتى يلقمه يده فيقْصِمُها ثم يُتْبِعُه سائِرَ جسده» وسنده صحيح، والأقرعُ في الحديث الذي ابْيَضَّ رأْسُه من السُّم كما في«الفتح» (443/4).

وعن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي رضي الله عنه صاحب النبي صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :«إن في النار حيَّات أمثال أعناق البُخْت يلسَعْن اللَّسْعة فيجِد حُمُوَّتَها أربعين خَرِيفا، وإن فيها لعقارب كالبِغال المُوكِفَة، يَلْسَعْن اللّسعة فيجِد حُموتها أربعين خريفا». أخرجه الحاكم

(4/393)[66]ومن طريقه البيهقي في «البعث» (561) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي و كذا صححه ابن حبان (2613–موارد) وانظر تخريجه مفصلا في «الصحيحة» (3429).

قوله :(البخت) أي الإبل الخُرَاسَانية، واللّسعة أي اللّدغة، وقوله: (حُموَّتها) أي أثر سُمِّها وألمِها.

قوله:(خريفا) أي عاما، وقوله:(البغال الموكِفة) أي البِغَال التي يُشَدُّ عليها الأَحْمال. [67]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى:{ زِدْنَاهُم عذَابًا فوق العذاب } قال : «زِيدُوا عَقارب أنْيَابُها كالنِّخَال الطِّوال».

رواه ابن جرير (160/14) وابن أبي شيبه (158/13) والطبراني (258/9) وأبو يعلي (3648–مطالب) والحاكم

---

[66] رواه قبله أحمد (4/191) لكن آثرت رواية الحاكم والبيهقي وابن حبان لجودة إسنادها .

[67] انظر«المرقاة»(10/355).

(2/355 و 4/593) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وهو في«صحيح الترغيب (3678)، والأثر له حكم الرفع وانظر «المطالب العالية» (14/764 – ط الشتري).

وعن يزيد بن شَجْرة– رضي الله عنه –قال :«إن لجنهم لجُبَابا، في كل جُبٍّ ساحلا كساحل البحر، فيه هوَام وحيات كالبَخَاتِى، وعقارب كالبغال الدُّلم، فإذا سأل أهل النار التخفيف قيل : أخرجوا إلى الساحل، فتأخذهم تلك الهوام بشفَاهِهِم وجنوبِهم وما شاء الله من ذلك فتكشِطُها فيرجعون، فيُبادِرون إلى معظم النيران ويُسَلَّطُ عليهم الجرب، حتى إن أحدهم ليحُكُّ جلدَه حتى يبْدُو العظم فيقال : يا فلان هل يؤذيك هذا ؟ فيقول : نعم : فيقال له : ذلك بما كنت تؤذي المؤمنين».

رواه الحاكم (3/494) ومن طريقه البيهقي في «البعث» (562) وقبلهما عبد الله بن المبارك في «الزهد» (330) وعبد الرزاق في «المصنف» (5/256-258) والطبراني في

«الكبير» (22/246) ومنهم من رفعه لكن الصحيح فيه أنه موقوف وكما قال الحافظ المنذري في «الترغيب» [68]ثم قال : مع أنه يقال إن مثل هذا لا يقال من قِبَلِ الرأي فسبِيل الموقوف فيه سبيل المرفوعِ، والله اعلم». انتهى

والجُبْ: بمعنى البئر البعيدة القعر جمعها جباب كما في «تاج العروس»(2/120).

وقوله:(البخاتي) جمع بُخت، وهي جِمَال طِوَال الأعناق،أنظر «النهاية»، وقوله : (الدّلم) : بمعنى السود.

قوله : (تكشطها) أي تنزعها، وقوله : (الجَرَبْ) داء ومرض جِلْدي معروف، ولا شك أن الجَرب الذي يُسَلَّط على أهل النار ليس كالجَرب الذي يُصِيب بعض الناس في الدنيا {ولعَذابُ الآخِرة أَشَدُّ وأَبْقَى} أَعَاذنا الله وإياكم من عذاب الآخرة، وإنما ذكرنا هنا أحاديث النار وعظمتها رجاءَ أن تُملأ قُلوبُنا بعظَمته وخشيتِه ونزِيد من طاعتنا له، عسى أن نكون من أهل فضله ورحمته.

---

[68] والأثر في «صحيح الترغيب»(1377) و(3677) .

-عظمة الجنة وسِعَةُ ما فيها:

يقول الله تبارك وتعالى في محكم تنزيله واصفا عرض الجنة واتساعها : {سَارِعوا إِلى مَغفِرةٍ من رَبِّكُم وجَنَّةٍ عرضُهَا السَّموات والأرض أُعِدَّت للمُتقِين} [اعمران: 133]، ويقول أيضا : (سَابِقوا إلى مغفرة من ربِّكُم وجنَّة عرضها كعَرض السماء والأرض} [سورة الحديد:٢١]، يقول العلامة المفسر أبو عبد الله القرطبي في «تفسيره» : (4/154)

«وإذا كانت السموات السبع والأرضون السبع بالنسبة إلى الكرسي كحلقة أُلْقِيَت في فَلاةٍ من الأرض والكُرسيُّ بالنسبة إلى العرش كحَلقة مُلقاة بأرض فلاة -أي صحراء- فالجنة الآن على ما هي عليه في الآخرة عرضُها كعرض السموات والأرض، إذِ العرش سقفُها، حسب ما ورد في صحيح الحديث[69]،ومعلوم أن السقف يحتوي على ما تحته ويزيد، وإذا كانت المخلوقات كلها بالنسبة إليه

[69] كما رواه البخاري (2790) .

كالحلقة، فمن ذا الذي يقدره ويعلم طوله وعرضه إلا الله خالقه الذي لا نهاية لقدرته ولا غاية لسعة مملكته سبحانه وتعالى».

أقول : ومن هنا كان معنى قوله تعالى: {تعرُج الملائكة والرُّوح إِليه فِي يوْمٍ كان مِقدَاره خمسين ألف سنة} [المعارج:4]، أن غِلَظَ كل سماء خمسمائة عام وبين كل سماء خمسمائة عام، وغلظ كل أرض خمسمائة عام، وبين كل أرض خمسمائة عام فيكون ما بين الأرض السُّفلى إلى السماء السابعة أربعة عشر ألف سنة، قال بعض العلماء استنادًا إلى ما صح في الأحاديث والآثار وقد مر بعضها : أن ما فوق السماء السابعة إلى عرش الرحمن مسيرة ستة وثلاثين ألف سنة تَتْمِيمًا للخمسين ألف سنة الواردة في آية المعارج،بما فيها الجنة التي عرضها السماوات والأرض كما في الآية وحديث الإسراء والمعراج، والكرسي وبحر ما بين أسفَلِه إلى أعلَاه خمسمائة عام والعرش على الماء كما في

أوائل سورة هود،لايُقدر قدره أحدكما صح في حديث ابن عباس وابن مسعود المتقدمين، ويقول القرطبي أيضا في موضع آخر (17/197):«والعرض أقل من الطول ومن عادة العرب أنها تعبر عن سعة الشيء بعرضه دون طوله»

وروى الإمام ابن جرير في «تفسيره» (60/4) بسند صحيح عن طارق بن شهاب:أن عمر بن الخطاب أتاه ثلاثة نفر من أهل نجران–نصارى–فسألوه وعنده أصحابه فقالوا: أرأيت قوله : {وجنة عرضها السماوات والأرض} فأين النار؟ فأحجم الناس فقال عمر: أرايتم إذا جاء الليل أين يكون النهار، وإذا جاء النهار أين يكون الليل فقالوا:نزعت مثلها من التوراة،قال الحافظ ابن كثير مُعلقا على هذا الأثر ومبينا معناه:

وهذا يحتمل معنيين: أحدهما : أن يكون المعنى في ذلك أنه لا يلزم من عدم مشاهدتنا الليل إذ جاء النهار

أن لا يكون في مكان، وإن كنا لا نعلمه، وكذلك النار تكون حيث يشاء الله عز وجل وهذا أظهر ..[70]

الثاني : أن يكون المعنى أن النهار ، إذا تغشى وجه العالم من هذا الجانب، فإن الليل يكون من الجانب الآخر، فكذلك الجنة في أَعْلَى عِلِّيين فوق السَّموات تحت العرش وعرضُها كما قال الله عز وجل {كعَرضِ السَّماءِ والأرض}.

وقال محيي السنة الإمام أبو محمد البغوي رحمه الله في «معالم التنزيل» (243 ط دار بن حزم): «وإنما ذكر العَرْض على المُبالغة؛ لأن طول كل شيء في الأغلب أكبر من عرضه، يقول : هذه صفة عرضها فكيف طولها؟ قال الزهري : وإنما وصف عرضها فأما طولها لا يعلمه إلا الله تعالى».

---

[70] بالنسبة لمكان وجود النار، أنها في الأرض السفلى كما جاءت بذلك بعض الأحاديث والآثار منها مايصح كحديث البراء الطويل في وصف خروج روح العبد وأحاديث أخرى وآثار يشُدُّ بعضها بعضا ذكرها الحافظ ابن رجب في كتابه العجاب «التخوبف من النار» والعلم عند الله تعالى.

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فاذا سألتم الله فأسالوه الفردوسش، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة» رواه البخاري (2490) (7423) وفي رواية عند أحمد (312/5،316) وغيره:

«الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام» وهذه الرواية تراها مخرجة في«الصحيحة» (922).

قد يقول قائل : تقدم في حديث ابن مسعود أن المسافة التي بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، فما وجه الجمع بينه وبين رواية (مسيرة مائة عام) ؟

الجواب : ما ذكره الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (509/13): أن تُحْمَل رواية الخمسمائة على السَّيْر

البَطِيءِ، ورواية المِائة على السَّيْر السريع [71] فلا تنَافِي بينهما إذًا والعلم عند الله تعالى، وفي الحديث دلالة على عظمة الجنة وعظمة الفردوس .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :« إن أهل الجنة يتراءَوْن أهل الغُرف من فوقهم كما يتَراءَوْن الكوكب الدُّرِّيِّ الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب ، لِتَفَاضُل مَا بينهم» قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: «بلَى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين». رواه البخاري (3256) ومسلم (2831)

قوله : (يتراءَون) أي أن أهل الجنة تتفاوت منازلهم بحسب درجاتهم في الفضل حتى إن أهل الدرجات العُلا ليرَاهم من هو أسفل منهم كالنجوم [72] مما يدل على

---

[71] وبهذا الحمل قال العلامة ابن القيم في «حادي الارواح» (ص 174) ثم قال :«والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر هذا تقريبا للأفهام».

[72] «الفتح» (6/403)

عظمة هذه الجنة وسعة عرضها كما تقدم، وقال العلامة القرطبي في «المُفهِم» (1644/4 – ط المغرب):

«يعني أن أهل السّفل من الجنة ينظرون إلى من فوقهم على تفاوت منازِلهم، كما ينظر من على الْأَرض دَراري – أي كواكب – السماء على تفاوت منازلهم، فيقال: هذا منزل فلان، كما يقال هذا المُشْتَرِي مثلا، أو الزهرة أو المريخ، وقد بين ذلك بقوله : (لتفاوت ما بينهما) وسُمِّيَ الكوكب دُرِّيًا لِبَيَاضه وصَفائه»انتهى

قوله : (وصدقوا المرسلين) أي حق التصديق وإلا لَكَان كلُّ من آمَن بالله وصدَّق رُسُلَه وصلَ إلى تلك الدرجة وليس الامرُ كذلك».

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجَوَادُ المُضْمَر السريع مائة عام (في ظلها) ما يقطعها».رواه البخاري (6553) ومسلم (2828)

زاد في حديث أنس : «واقرؤوا إن شئتم (وظل ممدود). رواه البخاري (3252)

وقد سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طوبي فقال : «شجرة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها».وفي لفظ : «فيها شجرة تُدعى طوبي هي تُطَابِقُ الفردوس» [73]

وفي حديث عتبة بن عبد السُّلَمِي عند الطبراني في «الكبير» و «الأوسط» وغيره قال أعرابي: «فما عظم العنقود من هذه الشجرة ؟ قال صلى الله عليه وسلم :«مسيرة شهر للغراب الأبْقَع لا يقع ولا يَنْثَنِي ولا يَفْتُر» ثم سأله بعد ذلك عن عِظم الحبَّة من هذا العنقود فأجابه بأنها تشبعه وأهل بيته وعامة عشيرته»، وقوله : «لا يفْتُر» يعني لا ينقطع في سَيْرِه ولا يقف.

[73] «صحيح الترغيب» (3729)و(3731) و(3736) و«صحيح موارد الضمآن» (2626) (2627)، وهذا التخريج يشمل ايضا حديث عتبة الآتي.

وفي حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما مرفوعا بلفظ :

«سيْرُ الرَّاكِبِ في ظِلِّ الفنن [74] منها مائة سنة.[75] قوله في حديث أبي سعيد :(الجواد المضمر السَّريع) هو الفرس الذي دخل بطنه فاشتد جرْيُه [76] وزادت سرعته. وقوله: (ظِلُّهَا) هو ما يسترا أغصانها وامتداده وقيل: ناحيتها وكنفها،كما يقال: أنا في ظلك أي في كنَفِك وحوطتِك والذي أحوجنا إلى هذا التأويل أن الظل المتعارف عندنا إنما هو وقاية عن حر الشمس وأداها، وليس في الجنة شمس، وإنما هي أنوار مُتَوالية لا حرَّ فيها ولا قر، بل هي لذَّات مُتوالية ونِعَم مُتَتَابِعة [77].

وعن عبد الله – يعني ابن مسعود – أنه كان مع عبد الله ابن أبي الهُذَيْل بالشَّام أو بعَمَّان فتذاكروا الجنة

---

[74] الفنن اي الغصن

[75] صحيح الترغيب (3727) وقال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب

[76] شرح النووي (149/18)

[77] «المفهم» (1642/4)للقرطبي

فقال ابن مسعود:«إن العُنْقود من عناقيدها من ها هُنَا إلى صنعاء»[78].رواه ابن ابي الدنيا في «صفة الجنة» (46) وهو في«صحيح الترغيب» (3730) وله حكم المرفوع.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «عرضت علي الجنة فذهبت أتناول منها قطفا أريكموه فحيل بيني وبينه». فقال رجل: يا رسول الله ما مِثلُ الحبة من العِنَب ؟ قال : «كأعظم دَلْوٍ فَرَتْ أمُّك قَط». رواه أبو يعلي في مسنده وهو في «صحيح الترغيب» (3731)، قوله : (فرَت) أي صَنعت.

وعن أبي موسى الأشعري – عبد الله بن قيس- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :«إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مُجوَّفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن» وفي لفظ : «طولها في السّماء سِتُّونَ مِيلاً في كل زاوية

[78] صنعاء باليمن يعني طوله من الشام إلى صنعاء باليمن.

منها أهل للمؤمن، لا يراهم الآخرون».[79]قوله :«مجوفة» بمعنى مثقُوبَة [80] وفارغة من الوسط وهذه الخيام كما يقول العلامة ابن القيم في «حادي الأرواح»(ص 423) :«غير الغرف والقصور،بل هي خِيام في البساتين وعلى شواطئ الأنهار».

قوله (سِتُّون ميلا) الميل كما يقول الأزهري : هو عند العرب ما اتسع من الأرض حتى لا يكاد بصر الرجل يلحق أقصاه وهو ستت آلاف ذراع .[81]

قوله : (لا يراهم الآخرو) وذلك لعظم سعة هذةٍّ الخيام وكِبَرِها، واتساعها قَدْرَ ستيِّن ميلا.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: «الخيمة دُرَّةٌ مجَوَّفة فرْسخ في فرْسَخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب» رواه عبد الله بن المبارك في «الزهد» (249) ومن

---

[79] **رواه البخاري (4880) ومسلم (2838)**

[80] **«شرح النووي»**

[81] **«معجم المصطلحات الفقهية»**

طريقه الحافظ ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (321) وسنده جيد وهو في حكم المرفوع.

تقدم معنا قبل قليل معنى «مجوفة» وأما الفرسَخ فهو ثلاثة أميَال وهو ما يُقَارِب ثمانية عشرة آلاف ذِرَاع[82] والذِّراع يقارب بالقياسات العصرية نصف المتر.[83]

قوله :(مصراع) أي مصراع الباب وهو أحد شقيه أو جرئيه أو طرفيه، وقال النووي : مِصْرَاعَيْ الباب : جانِبَا الباب .

وقد جاءت أحاديث صحيحة فيها بيان مقدار سعة أبواب الجنة وما بين مصاريعها من المسافة الكبيرة والكبيرة جدا، من ذلك حديث عتبة بن غزوان رضي الله عنه وفيه : «أن مصراعين من مصاريع الجنة بينهما

---

[82]«معجم لغة الفقهاء» لمحمد قلعجي وانظر «القاموس المحيط» «الفيروز آبادي».

[83] «معجم لغة الفقهاء» (450-451) .

مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام» رواه مسلم (2967).

وله شواهد أخرى تراها مخرجة في «الصحيحة» (1698).

قوله: (كظِيظ) أي مُمْتلئ، وانظر «صحيح الترغيب (3312).

وعن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه في قوله الله عز وجل {وفرش مرفوعة} قال :«لو أن أعْلاها سقط ما بلغ أَسْفلها أربعين خريفا».رواه ابن ابي الدنيا في «صفة الجنة» (158) وسنده حسن وهو في حكم المرفوع .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمرة ليلة البدر والذين يلونهم على أشد كوكب دُري في السماء...» إلى أن قال صلى الله عليه وسلم: «أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم

ستون ذراعا [84] في السماء» رواه البخاري (3245) ومسلم (2834) .

قوله : (ستون ذراعا في السماء) أي طولا.

وعن المقدام بن معدي يكرب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «ما من أحد يموت [85]سَقْطًا ولا هرمًا – وإنما الناس فيما بين ذلك – إلا بُعِثَ ابنُ ثلاثٍ وثلاثِين يعني سنة – فإن كان من أهل الجنة كان على نسخة آدم وصورة يوسف وقلب أيوب، ومن كان من أهل النار عُظِّمُوا أو فُخِّمُوا كالجبال.

رواه الطبراني في «الكبير» (20/280) والبيهقي في«البعث والنشور» (422) وغيرهما وحسَّنه المنذري والهيثمي والألباني كما هو مبين في «الصحيحة» (2512).

---

[84] الذراع يقرب من نصف متركما تقدم وعليه تكون ستون ذراعا تقارب ثلاثين مترا .

[85] الجنين الذي يسقط من بطن أمه قبل تمامِه .«مختار الصحاح»

ومن عظيم ما خلقه الله في الجنة نهر الكوثر الذي أعطاه الله لسَيِّد ولد آدم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال تبارك وتعالى:{إنا أعطيناك الكوثر} وقد جاءت أحاديث كثيرة[86] في وصفه وبيان سعته وعظمته من ذلك :

قوله صلى الله عليه وسلم : «ما بين ناحِيَتَيْ حوضي كما بين صنعاء والمدينة »[87]وفي لفظ: «حوضي مَسِيرة شهر وزَوايَاهُ سواء» [88]وفي لفظ: «عرضه مثل طوله» [89]

وقوله صلى الله عليه وسلم : «والذي نفس محمد بيده لآنيتُه أكثر من عدد نجوم السماء، وكواكبها»[90] وفي لفظ: «ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم

---

[86] أوصَلَها بعض اهل العلم الى ثمانين حديثا .

[87] رواه مسلم (2303)

[88] البخاري (6579) ومسلم (2292)

[89] رواه مسلم (2300)

[90] رواه مسلم (2300)

السماء أو أكثر»[91] وفي لفظ : «كأن الأباريق فيه النجوم»[92] وفي آخر:«شاطِئَاهُ دُرٌ مُجَوّف عليه من الآنية عدد النجوم» [93] وفي لفظ : «حافتَاهُ قِبَابُ الدُّر المُجَوَّف». [94]

وقوله صلى الله عليه وسلم لما سُئِل عن الكوثر قال : «ذاك نهر أعطانيه الله –يعني في الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كأعناق الجُزُر[95] قال عمر : إن هذه لناعِمة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«أَكَلَتُهَا أنعمُ مِنها». رواه الترمذي (2551) وحسّنه وهو في «صحيح الترغيب» (3724).

-سِعَةُ مُلْكِ أدْنَى أهلِ الجنة منزِلَةً:

ورد وصفه في عدة أحاديث منها حديث المغيرة بن شعبة الذي رواه مسلم في «صحيحه» (189) قال:«هو

---

[91] رواه مسلم (2303) واعلم أنه لا يحصى عدد النجوم إلا الله سبحانه .

[92] رواه مسلم (2305).

[93] رواه البخاري في كتاب التفسير من «صحيحه» تفسير سورة الكوثر.

[94] رواه البخاري في كتاب الرقاق باب في الحوض.

[95] هو جمع جزور وهو البعير.

رجل يجيء بعدما ما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له : أدخل الجنة، فيقول : أي رب كيف؟ وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أتَرْضى أن يكون لك مثلُ مُلْكِ ملِكٍ من ملُوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب فيقول : لك ذلك ومثلُه ومثلُه ومثلُه ومثلُه ، فقال في الخامسة : رضيت رب فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذَّتْ عينك فيقول : رضيت رب، قال : ربِّ فأعلاهُم منزلةً ؟ قال أولئك الذين أردت، غرسْتُ كرامتَهم بيدي وختمت عليها، فلم تَرَ عينٌ ولم تسمع أذنٌ ولم يخطُر على قلب بشر. قال : ومصداقه في كتاب الله عز وجل:{فلا تَعْلمُ نفسٌ مَا أُخْفِي لهُم من قُرَّة أَعْيُن} الآية» قال النووي رحمه الله في «شرحه»:

«المُراد أن أحدَ ملوك الدنيا لا ينتهي ملكه إلى جميع الأرض بل يملك بعضا منها، ثم منهم من يُكثِّر البعض الذي يمْلِكه ومنهم من يقل، فيُعطي هذا الرجل مثل

أحد ملوك الدنيا خمس مرات وذلك كله قدر الدنيا ثم يقال له : لك عشر أمثال هذا ».[96]

ومن الأحاديث التي ورد فيها ذِكرُ ملْك أدْنَى أهلِ الجنة منزلة بسياق أطول وُمفَصَّل، حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث يقول فيه صلى الله عليه وسلم :

«فيقول الله له[97]: ألَم تَرْضَ أن أُعْطِيك مثل الدنيا منذ يوم خلقتُها إلى يوم أفنيتُها وعشْرَ أضعافِها ؟ قال فيقول: أتستهزؤُ بِي وأنت رب العالمين، قال: فيضحك الرب من قوله»... قال : «فيقول الرب: لا ولكني على ذلك قادِر، سل قال : فيقول: رب أَلْحِقْني بالناس قال: فيقول: إلْحَق بالناس قال : فينطلِقُ يَرْمُلُ[98] في الجنة حتى إذا دَنَى من الناس رُفع له قصر من درة فيخِرُّ ساجدا، فيقال له: إرفع رأسَك مالك ؟ قال : فيقول رأيت ربي أو ترَاءَى لِي ربي، فيُقالُ له : إنما هو منزِلٌ من منازِلك، قال : ثم

[96] «طرح التثريب في شرح التقريب» (266/8) لوليِّ الدين العراقي.

[97] أي لأدنى اهل الجنة منزلة وآخرهم دخولا إلى الجنة.

[98] أي يُسرِع.

يلقى رجلا فيتهيأ ليسجُد، فيقال له : مَهْ مالك؟ قال : فيقول رأيت أنك ملَكٌ من الملائكة فيقول : إنما أنا خازن من خُزَّانِك، عبد من عبيدِك تحت يدَيَّ ألفُ قَهْرَمانٍ[99] على مِثل ما أنا عليه قال :فينطلقون أمامه حتى يفتح له القصر قال : وهو دُرَّةٌ مُجوَّفة سقائِفُها وأبوابُها وأغلاقها ومفاتحها منها، فيستقبله جوهرةٌ خضراءَ مُبطَّنَةً حمراءَ، كل جوهرة تُفْضِي إلى جوهرة على غير لون الأخرى في كل جوهرة سرُرٌ وأزواج ووصَائف أدناهُن حورَاء[100] عيناءَ عليهن سبعون حلة، يُرَى مخُّ ساقِها من وراء حُلَلِها، كبِدُها مرآتهُ وكبدُهُ مِرآتُها، وإذا أَعْرَض عنها إعراضةً ازْدَادَتْ في عينه سبعين ضِعفا عمَّا كانت قبل ذلك، وإذا أعرضت [101] عنه اعراضه ازْداد في عينها سبعين ضعفا عما كان قبل ذلك، قال : فيقول لها : والله لقد ازْدَدْتِ في عينِي سبعين ضِعْفًا قال : فتقول له:

[99] هو الخادِم والخازِن القائم بأمور سيِّده.

[100] أي شديدة بياض العين شديدة سوادها والوصائف جمع وصيفة وهي الجارية والخادمة.

[101] أي غابت عنه

وأنت والله لقد ازدَدْتَ في عيني سبعين ضعفا، قال : فيُقَالُ له : أَشْرِف [102] فيُشْرِف قال، فيُقال له : مُلكُكَ مسيرةُ مائةَ عام تَنفُذُهُ بِبَصَرِك»

قال : فقال عمر : ألا تسمع إلى ما يُحدِّثُنَا ابن أم عبد [103] يا كعب [104] عن أدنى أهل الجنة منزلا فكيف أعلاهم ؟! قال كعب : يا أمير المؤمنين ما لاعَيْنَ رَأَت ولا أُذُنٌ سَمِعت...» الحديث. [105]

---

[102] أي اطَّلِع على ملكك

[103] يعني عبد الله بن مسعود رضي الله عنه راوي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[104] هو كعب الأحبار كان يهوديا فاسلم، من أهل اليمن مُخَضْرم بلغ مائة وأربع سنة أسلم في عهد عمر ومات في خلافه عثمان، أنظر «تهذيب التهذيب».

[105] رواه ابن نصر في«تعظيم الصلاة» (278-282) وابن خزيمة في «التوحيد» (155) وعبد الله بن احمد في«السنة» (1133) والدراقطني في جزء «الرؤية»(114-117)(121) وابن ابي الدنيا في «صفة الجنة» (31) وصححه الحاكم في «المستدرك» (592/4) والمنذري في «الترغيب» (3591 -صحيحه) والهيثمي في «مجمع الزوائد» (341/10) وحسّنه الذهبي في كتاب «العلو» (110-مختصره) وفي «الأربعين» (1/186)=

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل جنة الفردوس وألاَّ يُحْرِمنا من فضله العظيم الواسع، إنه جواد كريم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

=وقال العلاَّمة ابنِ القيم في «حادي الأرواح» (612) هذا حديث كبير حسن رواه المُصنِّفون في السنة «الصحيحة» برقم (3129) وفي الباب أيضا عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : «إن أدنى أهل الجنة منزلا من يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه قال : وتلا هذه الاية : {إذا رَأَيتهُم حسِبْتَهُم لُؤْلؤًا مَنْثُورًا} رواه ابن جرير في «التفسير» (136/29) والحُسَين المَروَزي في«زوائد الزاهد» (1580) والبيهقي في «البعث» (371) وسنده صحيح وهو في حكم المرفوع.

الفهرس